

جامعة ابن طفيل
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
شعبة الجغرافيا
الفصل: الثاني

وحدة جغرافية الأرياف

الأستاذة: لمياء البزاري

السنة الجامعية

2025-2024

المحور الأول: التعريف بالمجال الريفي والمفاهيم المرتبطة

بجغرافية الأرياف

يعتبر مفهوم المجال الريفي مفهوم فضفاض شائع التداول يطرح إشكالية تعريفه بدقة، فالتعاريف المستعملة تختلف من بلد إلى آخر لاختلاف معايير ومرتكزات بلورة تعريف موحد.

كما ترتبط بالمجال الريفي مجموعة من المفاهيم كالمجال الفلاحي والمجال الزراعي. لكنها لا تدل على نفس المعنى. لهذا نميز داخل جغرافية الأرياف بين ثلاث مجالات متميزة ومتداخلة وغير منفصلة: المجال الريفي والمجال الفلاحي والمجال الزراعي.

1- المجال الريفي مفهومه ومميزاته وتطوره

1-1 مفهوم المجال الريفي

عندما نبحث عن كلمة ريف أو أرياف في القواميس والمعاجم فإنها تحيلنا الشروحات في أغلب الأحيان إلى كلمة مدينة (ville) أو تمدين وحوضر (urbanisation)، لنفهم في الأخير أن الأرياف عكس المدن دون تحديد المعايير الدقيقة للإحاطة بمحتوى كل من الواقعين على حدة.

ويعبر هذا الغموض عن غياب أي تعريف قطعي دقيق ومتفق عليه عالميا لما يسمى بالمجال الريفي. حيث يختلف تبعاً لظروف المكان والزمان، فليس المجال الريفي الذي يوجد في الدول المتقدمة ينطبق عليه نفس تعريف المجال الريفي في الدول السائرة في طريق النمو. وهذا ما يؤكد (Sanderson) قائلاً: "يجب الإشارة إلى الحقيقة التي تتمثل في وصف الريفية في الولايات المتحدة بصورة كلية أو عامة، وأن نعطي خصائص مطلقة للمجتمع الريفي تنطبق في كل مكان، ومن ثم فيجب النظر إلى مشكلات التنظيم الاجتماعي الريفي في نطاق المحلية، وفي حدود الثقافة المحلية والموقف الاجتماعي المحلي".

يحدد المجال الريفي حسب (Bontron. J-C) على ثلاث عناصر تميزه عن المدينة؛ أولها هيمنة وسيادة الزراعة والرعي على أشكال التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية الأخرى، وثانيهما الاتصاف بنظام من القيم والأعراف الخاصة (تقاليد، دور رب الأسرة، موثيق توزيع الموارد الرعوية والمائية...)، ويتجلى العنصر الثالث في نمط العيش الريفي (الإنتاج من أجل الاستهلاك، الاكتفاء الذاتي، التضامن والتآزر الاجتماعي...).

في حين عرف روبر باروان (R.Baduin) المجال الريفي تعريفا عاما وأكثر شمولية بقوله: "المجال الريفي هو أولا مجال الإنتاج الفلاحي، لكونه يحتكر هذا الدور عكس المجال الحضري، حيث طبيعة الإنتاج ضئيلة أو منعدمة. لكن يمكن للمجال الريفي أن يضم وظائف غير فلاحية صناعية وتجارية وخدمائية أو سكنية. لذلك لم يعد المجال الريفي مجال إنتاج فلاحي فقط بل أصبح سلعة استهلاكية للسياحة وللترفيه كذلك، وبالتالي فهو مجال متعدد الوظائف".

هذا الانفتاح النسبي للأرياف انفجر جراء الثورة التقنية وكذلك جراء سياسات الإصلاح الزراعي. قديما كان بالإمكان معرفة وإدراك المجالات الريفية من الداخل اعتمادا على المؤهلات الطبيعية والعادات والتقاليد الفلاحية، لكن تم تجاوز هذا الوضع، لأن هناك علاقات جديدة معقدة الشيء الذي يجعل هذه المجالات أكثر تداخلا وترابطا فيما بينها ويمكننا توضيح ذلك من خلال بعض الأمثلة:

- ❖ التمدين السريع الذي يعتبر ظاهرة كونية قام بزعة التوازنات القديمة، حيث تحول المجال الريفي من مجال مستقل إلى مجال تابع سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.
- ❖ يقرر مصير الاستثمارات الفلاحية في مؤسسات القرض الدولية التي توجد مقراتها بالمدن العالمية.
- ❖ أصبحت مؤسسات دولية هي التي تتحكم في الآليات الاقتصادية للمجالات الريفية وخاصة بعد تعميم اقتصاد السوق. إذن أصبحت العلاقات الاقتصادية قاعدة التعامل الدولي والوطني، لكل هذه الأسباب، أصبح من الصعب التمييز بين المجالين خصوصا في البلدان الصناعية المتقدمة. لم يعد التناقض التقليدي بين المجالين واضحا.

وهذا ما دفع ببعض الباحثين إلى إنتاج مفهوم جديد هو تمدين الأرياف مضمونه أن الوسط السوسيو- اقتصادي للأرياف يقترب من مثيله في المدن، لكن لا يمكن تقبل هذا المفهوم بدون تحفظات لأنه يخفي غموضا كبيرا حول الدخل الفردي، وإمكانيات التشغيل، ونوعية السكن، والبنيات التحتية بين المجالين الريفي والحضري.

لكن عموما يفهم من المجال الريفي تلك المجالات قليلة التعمير وذات الكثافات السكانية الضعيفة، حيث يغلب النشاط الزراعي وتقل التجهيزات والخدمات الأساسية (صحة، تعليم، بني تحتية....) كما هو الحال في معظم البلدان السائرة في طريق النمو. إلا أن المجال الريفي لا يقصد به فقط المجال الزراعي الذي يستخرج منه الإنسان حاجياته الغذائية، ومتطلبات ماشيته، بل يمتد أيضا ليشمل مجال

الغابات والمساحات الغير مزروعة، كما قد يتضمن مساحات خاصة لأنشطة ووظائف أخرى كالحرف والصناعة والتعدين والمحميات الطبيعية والمجالات السياحية وغيرها.

2-1 معايير تحديد المجال الريفي

من أجل تبسيط تعريف الأرياف وتحديدتها بشكل أكثر دقة، يتم الاعتماد على معايير كمية وفق معطيات إحصائية، وهذا ما توضحه تعاريف المنظمات الدولية التالية:

***تعريف الولايات المتحدة الأمريكية:** اعتمدت الولايات المتحدة الأمريكية في تعريفها للمجتمع الريفي على معيار إحصائي يحدد المناطق الريفية وفق حجم السكان الذين يعيشون في جماعات أقل من 2500 نسمة. وهذا التعريف يشمل الفلاحون والسكان الريفيون غير الزراعيين.

***تعريف هيئة الأمم المتحدة ONU:** وضعت هذه المنظمة معيارا كميا للتمييز بين الريف والمدن على أساس الحجم السكاني، حيث اعتبرت أن التجمعات السكانية تكون ريفية إذا قل عدد سكانها عن 2000 نسمة، إضافة إلى أنها لا تبعد عن جاراتها بمسافة 200 متر (أي بين تجمعين سكانيين مسافة 200 متر)، وإذا زاد عدد السكان عن 2000 نسمة فهو تجمع حضري.

***تعريف منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OCDE:** تعتمد منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية في تعريفها للمجال الريفي على ثلاث معايير أساسية وهي:

- أولا معيار الكثافة السكانية وأهمية التجمعات السكانية: تتميز المناطق الريفية بضعف الكثافة، إضافة إلى صغر حجم التجمعات وتفرقها والتي تقدرها المنظمة ب 150 فرد/كلم2 بين بعضها البعض. إلا أن هذا التعريف لا ينطبق على جل الدول،
- ثانيا معيار الزراعة إذ هي النشاط الاقتصادي السائد، وتتميز بضعف الأراضي المخصصة للبناء والعمران.

- ثالثا معيار البناء الاجتماعي ففي الأرياف تقليدي وبسيط تسوده الأعراف والتقاليد.

أما في المغرب يتم تحديد المجال الريفي بالاعتماد على ثلاث معايير أساسية وهي:

المعيار الوظيفي: نقصد بالمعيار الوظيفي الأنشطة الأساسية التي يقوم بها الإنسان داخل المجال. لقد ساد في المجال الريفي ولفترات طويلة النشاط الفلاحي كنشاط أساسي، لكن في العقود الأخيرة أصبح

تحديد وظيفة المجال الريفي من الأمور الصعبة نتيجة التحولات الاقتصادية التي شهدتها والتي أدت إلى ظهور وظائف جديدة غير فلاحية.

المعيار الإداري أو الإحصائي: يعتمد المغرب لتدبير التراب الوطني على تصنيف مجاله الترابي إلى مجالين رئيسيين؛ مجال الجماعات الحضرية ومجال الجماعات القروية. فمعيار التصنيف المجالي هذا هو معيار إداري لكن من الناحية الجغرافية نجد تداخلا كبيرا بين المجالين على عدة مستويات: السكان، السكن والوظائف.

التصنيف الإداري للمجال الريفي والحضري تعتمد كل مؤسسات الدولة بما فيها المندوبية السامية للتخطيط التي تشرف على إعداد وتنظيم الإحصاء العام للسكان والسكنى من خلال مديرية الإحصاء. وبالتالي يتم التمييز في نتائج الإحصاء العام بين السكان الحضريين والسكان القرويين الذين يقطنون بالجماعات القروية.

المعيار الاجتماعي: نقصد به مستوى التجهيزات الاجتماعية ونمط العيش السائد كالتوفر على الماء الصالح للشرب والكهرباء والنقل والتعليم والتجهيزات الطبية ووسائل الترفيه كل هذا يتم بشكل متفاوت بين المجالين. لقد أظهر المغرب من خلال الحوار الوطني حول إعداد التراب الوطني الذي نظمته سنة 2000 أن هناك تفاوتات صارخة بين المجالين الريفي والحضري على مستوى توزيع البنيات الأساسية والخدمات الضرورية لحياة كريمة، فلا زالت المدينة هي المجال الأوفر حظا من حيث البنيات الأساسية: الماء الكهرباء الصحة التعليم الخدمات البنكية والنقل، في حين يفتقر المجال القروي لهذه التجهيزات والخدمات خصوصا في المناطق الجبلية الأكثر عزلة مما يشكل معانات حقيقية للسكانة القروية.

ومهما كانت الصعوبات التي تحول دون وضع حدود جغرافية واضحة بين المجالين، فإنه يمكن اعتبار المجال الريفي الحيز الجغرافي الذي يطغى عليه النشاط الفلاحي بكل فروع كالزراعة وتربية الماشية، وإن كان هذا لا يمنع فئة كبيرة من الريفيين من العيش على أنشطة غير فلاحية.

3-1 مراحل تطور أنشطة المجال الريفي

شهدت الأنشطة الممارسة في المجال الريفي تطورا عبر مرور الزمان، فاستقرار الأنشطة الاقتصادية سواء كانت فلاحية أو غير فلاحية بالمجال الريفي قد خضعت لنوعية النظم الاقتصادية التي تعاقبت. لهذا مر استقرار هذه الأنشطة بثلاث مراحل كبرى.

1-3-1 مرحلة المركب الفلاحي الحرفي

قبل الثورة الصناعية كان المجال الريفي يتكون من الأنشطة التالية:

- ✚ حرف الأدوات الفلاحية: الحدادة والنجارة؛
- ✚ الفلاحة: الإنتاج الفلاحي (الزراعة وتربية الماشية)؛
- ✚ الأوراش العائلية: تحويل المنتجات الفلاحية المحلية؛
- ✚ الأنشطة التجارية: تجميع المنتجات الفلاحية من طرف التجار.

شكل الوسط الريفي مجالا مغلقا نسبيا تتم جل العلاقات الاقتصادية بداخل الإقليم لا تربط المجال بالمناطق الأخرى إلا علاقات اقتصادية ضعيفة وخاصة مع المدن سوف تتغير هذه الخصائص في المرحلة اللاحقة، وسيكتسي المجال الريفي طابع التخصص.

1-3-2 مرحلة تخصص المجال الريفي

امتدت هذه المرحلة من بداية الثورة الصناعية إلى غاية منتصف القرن العشرين (سنة 1950). خلالها تخصص المجال الريفي في الإنتاج الفلاحي فقط، وبدأ يفقد تدريجيا الأنشطة الغير فلاحية التي كان يأويها في المرحلة السابقة.

من مميزات هذه المرحلة أنه تم تعويض أساليب الإنتاج التقليدي بأخرى صناعية عصرية تتطلب تركزا خاصا لقوى الإنتاج: الراساميل واليد العاملة وأسواق الاستهلاك، وبفعل تطور وسائل المواصلات انفتح المجال الريفي عن المجال الحضري.

ستنتهي هذه المرحلة في حدود سنة 1950 وسيقع انقلاب فيما يخص استقرار الأنشطة غير الفلاحية بالمجال الريفي.

1-3-3 مرحلة النظام الصناعي الفلاحي le Système agro-industriel

خلال هذه المرحلة تكون المجال الريفي من العناصر التالية: العالية والسافلة وسافلة السافلة.

العالية (Amont): تتكون من الصناعات الأساسية أي صناعة الآلات الميكانيكية والأبنك ومؤسسات القرض التي تقوم بتمويل السياسات الفلاحية.

السافلة (Aval): تتكون من الأنشطة الفلاحية المختلفة.

سافلة السافلة: تتكون من وحدات الصناعة الغذائية تقوم بتصنيع المنتوجات الفلاحية كصناعة السكر وصناعة الخضر والفواكه.

عند تحليلنا للمراحل الثلاث، يتضح أن المرحلة الأولى والثالثة عرفت استقرارا للأنشطة غير الفلاحية بالأرياف. ويعزى أسباب استقرار أنشطة القطاع الثاني والثالث إلى وفرة المادة الأولية وسرعة التلف لبعض المنتوجات الفلاحية وانخفاض أجور اليد العاملة وإلى وجود وسائل النقل.

نستنتج أن المجال الريفي عرف تحولات عميقة فيما يخص وظائفه وأدواره، فلم يعد يقتصر على النشاط الفلاحي، بل أصبح وعاء لأنشطة صناعية وتجارية وإدارية وخدماتية تختلف أهميتها حسب النظام الاقتصادي ودرجة عصنة بعض المناطق (مثل منطقة الغرب وتادلة وسوس في المغرب عكس مناطق أخرى ظلت في الهامش).